من الخطأ الاعتقاد ان زعماء النظام الاسرائيلي الحاليين يقفون عند هذا الحد ليدفنوا رؤوسهم في الرمال ويتغاضوا عما يحدث حولهم ، بل على العكس من ذلك ، يبدو ان هذه الاراء لا تعدو كونها مجرد خلفية بعيدة ، قد لا يكون من المناسب الاعتماد عليها كليا . ولا شك ان مخططي السياسة الاسرائيلية تعلموا عددا لا بأس به من الدروس نتيجة لحرب تشرين ، خاصة بعد ان وجدت اسرائيل نفسها في وضع عزلة تامة تقريبا على الصعيد الدولي ، مما ادى الى ازدياد تعلقها بالولايات المتحدة ، وبالتالي احتمال توجيه ضغوط أكبر اليها قد تحملها على اتخاذ مواقف لا ترضى عنها ، ثم اضطرارها الى تخصيص جزء اكبر من قواها البشرية والمادية لضمان أمنها في الاحوال العادية والاستعداد للحروب التي قد تنشب في المستقبل . « ان احدى الاستنتاجات بعيدة المدى المترتبة على الوضع الحالي تقضي بتقوية عدم ــ تعلق اسرائيل ، بمفاهيمه المختلفة ... ان اسرائيل تستطيع الوصول الى الاستقلال في اربعة مجالات : الماء ــ بواسطة تحلية مياه البحر ، الطاقة ــ بواسطة مفاعلات ذرية ، الغذاء ــ بواسطة استعمال الطاقة والمياه لري مناطق مقفرة ، وبانتاج سلاحنا ذاتيا . اننا ننتج اليوم ٣٠٪ من سلاحنا ، وربما نستطيع الوصول الى ٤٠٪ او حتى ٥٠٪ . وهذا شيء مهم للغاية »(٦).

عامل الزمن

ان مثل هذا المخطط ، الذي يفترض ان يدعم صمود اسرائيل وقدرتها على الوقوف ليس امام اعدائها فقط وانما في وجه اصدقائها ايضا ، اذا قرروا توجيه ضغوط اليها او حتى التخلي عنها ، غير قابل للتنفيذ خلال فترة قصيرة . ولهذا فان اسرائيل بحاجة الى الوقت لتنفيذه . ولا يخفي الزعماء الاسرائيليون حاجتهم الى الوقت لتنفيذ خططهم، ويتحدثون عن ذلك صراحة . وبينما يعتقد رابين ان فترة السنوات السبع المقبلة حرجة بالنسبة لاسرائيل(٧) ، نرى أن بيريس يتحدث عن عشر سنوات : « انني ارى امامنا ممرا طويلا للغاية من المجابهة السياسية ، وربما ليس السياسية فقط ، سيستمر على الاقل ١٠ سنوات . انني لا اتوقع حادثا معينا خلال هذه السنوات العشر ، قد يحرر اسرائيل من ضائقتها السياسية ، الاقتصادية او العسكرية . ولكن الشعوب الكبيرة تولد ، في نهاية الامر ، وقت الضيق »(٨). و « اسرائيل بحاجة الى الوقت لكي تجدد الهجرة وتستوطن البلد وتطور الزراعة وتنمي الصناعة وتصقل المجتمع »(٩).

ويدرك حكام اسرائيل بالطبع ان عامل الزمن ليس وقفا عليهم وحدهم ، اذ يمكن للاخرين ايضا ان يستغلوه ، بحيث قد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، ولهذا يعلنون عن استعدادهم لعقد السلام مع الدول العربية .ولكنهم يدركون في الوقت نفسه ان السلام الكامل مع الدول العربية ، بالشكل الذي يريدونه ، غير ممكن لان الولايات المتحدة « اكدت » لهم ان الدول العربية غير مستعدة في الظروف الراهنة للسلام ، وانهم « اقتنعوا » بهذا الرأي(١٠)، بحيث لم تبق امامهم الا طريق التسويات الجزئية .

وفي اتجاههم للسير على طريق التسويات الجزئية يركز زعماء اسرائيل على مصر اولا ، لان « العالم العربي لم يثبت حتى الان ــ هكذا يقول رابين ــ انه قادر على السير خطوة نحو التسوية مع اسرائيل اذا لم تقده مصر . لا اذكر حادثا مختلفا عن ذلك خلال سنوات الدولة الستة والعشرون . ولكن اذا اتضح غدا ان هناك امكانية عملية لاجراء محادثات مع الاردن ، او حتى مع لبنان ، فينبغي علينا التمييز بين الفرضيات النظرية والمواقف الواقعية والتفتيش عن الامكانيات العملية »(١١).ولكن عند